دور الآثار في الحفاظ على الهوية الوطنية
(الجزائر نموذجا)

أ.د. يمينة بن صغير حضري
أستاذ التعليم العالي –أثار إسلامية - جامعة غرداية-الجزائر

المستخلص :

ورثت العديد من شعوب العالم عبر تاريخها الطويل مجموعة من المقومات الحضارية التي أهلتها إلى أن تكون في مرحلة ما ذات كيان مستقل، ومتطور، لكن تعرض الكثير منها فيما مضى إلى الاستعمار أثر سلبا على آثارها، ومما زاد الطين بلة التطور السريع الذي تعرفه مجتمعاتها اليوم في ظل العولمة، فدابة الثقافات في ثقافة عالمية واحدة، والحضارة الإسلامية من أكثر الحضارات تعرضا للغزو الثقافي، وما استعمار الجزائر من طرف فرنسا لمدة مئة واثنين وثلاثين سنة إلا دليل على ذلك، إذ حاول الاستعمار الفرنسي طمس هويتها الوطنية، والقضاء على كل ما له علاقة بتاريخها الطويل، ومع ذلك فانه بعد الاستقلال عملت الجزائر على حماية آثارها بمختلف الطرق من تشريع القوانين إلى تخصيص أموال لصيانة وترميم الآثار، إلا أن ذلك لم يكن كافيا في ظل الغزو الثقافي، وعدم الوعي بأهمية هذا الموروث الذي يعد شاهدا حقيقيا عما حققه الانسان في هذا البلد منذ ما قبل التاريخ إلى يومنا هذا، فأصبح موضوع التراث ودوره في الحفاظ على الهوية الوطنية من النقاط الواجب مناقشتها اليوم.

الكلمات المفتاحية: الأثار-الهوية الوطنية – الجزائر-التراث-حضارة.

The Role of Antiquities In Preserving National Identity
(Algeria As A Model)

Prof.Yamina bin Saghir Hadri

Abstract:

Throughout its long history, many peoples of the world have inherited a set of civilizational elements that qualified them to be an independent and developed entity at some point, but the exposure of many of them in the past to colonialism negatively affected their effects, and to make matters worse, the rapid development that their societies are experiencing today in the light of globalization, the merging of cultures into one World Culture, and the Islamic civilization is one of the most exposed to cultural invasion, so the topic of heritage of all kinds and its role in preserving national identity has become one of the points to be discussed today .

Kay words: tracks, national identity, Algeria, heritage, civilization

المقدمة:

دل التاريخ على اختلاف مراحله بان المساس بالهوية الوطنية، أو احتقار ثقافة شعب من الشعوب كان دوما خزان البارود الذي عانت منه الإنسانية، لهذا كان لابد من الحوار و الوفاء للقيم الحضارية العليا التي يعتز بها أي شعب من الشعوب، وقد حاول الاستعمار تبرير استعماره و اعتدائه على الشعوب، وعرقلة نهضتها بحجة تحضيرها، وانقاذها من التخلف، حيث تأثر البعض بهذه الفلسفة ، وسيطرت عليهم مظلة الثقافة الاوروبية الغربية الغير مهضومة، ولكن الغالبية كانت تدرك خصائص تراثهم القومي والروحي، إذ أن الوطنية، والكرامة، والاستقلال قد تبقى لحالها مجرد مظاهر خادعة اذ هي لم تستند لرؤية حضارية اصيلة بمقومات الكيان الفردي والجماعي، الروحية والاخلاقية والفلسفية ، ولا يحدث ذلك إلا بالثقة بالنفس والاطلاع على منابع الفكر الأصيل ومختلف العلوم لمحيطنا الثقافي ، فلتحديد مفهوم الهوية الوطنية لشعب الجزائري مثلا، لابد في البداية من تحديد مفهوم الشخصية الوطنية الجزائرية، ومميزات هذا الشعب الناتجة عن مجموعة من العوامل الاجتماعية ، والسياسية ، والبيئية التي مر بها عبر تاريخه الطويل المليء بالأحداث و المتغيرات .

أولا: واقع التراث الوطني في ظل الاستعمار:

عمل الاستعمار الأوربي الحديث للعالم الإسلامي على تدمير البيئة الاقتصادية، والسياسية، والاجتماعية، والثقافية لمجتمعاتها، وخاصة على مستوى التفكير، مما كان له اثر بالغ على النهضة العربية الحديثة، فأصبح للغزو الثقافي الممتد الآليات والأساليب أثر واضح على حياتنا الحاضرة، مما أصبح يهدد كياننا، وهويتنا العربية الإسلامية، خاصة أن الاستعمار برر اعتدائه على هذه الشعوب وعرقلة نهضتها بحجة تحضيرها، وانقاذها من التخلف، مع أن التاريخ يشهد بأنها كانت تعيش نهضة لم يوجد مثيل لها في العالم المسيحي، فكانت ردود الفعل مختلفة خاصة من طرف الفئة المثقفة بهذه المجتمعات، فعمل البعض على مقاومة ذلك من خلال التمسك بالماضي، ورفض غيره بديل والاكتفاء بالتراث، في حين رأى البعض ضرورة التوفيق بين التراث والتجديد، وذلك في محاولة لدمج الموروث مع العصر[1]، وهذا ما يتفق مع رؤية مالك بن نبي الذي يدعو العالم الإسلامي إلى أن يختار المنهج أو النموذج الذي يراه يتجه نحو الغرب، وفي نفس الوقت محتفظا بأصالته في تعديل النموذج الغربي بل أكثر من ذلك في تطويعه لتطوره الخاص أخذا في اعتباره تأخره من جهة، ومناهج التعجيل بحركة التاريخ من جهة أخرى[2].

بدأت حركة الاستعمار الأوروبي خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر للعالم الإسلامي بعد القضاء على الإمبراطورية العثمانية، التي كانت تقف عائقا في وجه توسعاتها وتجارتها في حوض البحر الأبيض المتوسط، فعملت على نشر الفكر الأوروبي والحضارة الأوربية[3]، كما عملت على فرض تأثيرات سلبية في حياة الشعوب المستعمرة[4] ، ومع الاتصال المتزايد بأروبا دخلت إلى العالم الإسلامي قيم جديدة أدت إلى اتساع الهوة بين القيم التقليدية والقيم الجديدة وتضاربت

فيما بينها ، وقد تشربت الأجيال الجديدة بهذا، وأصبح الإنسان المسلم مزيج من القيم التي ورثها، والقيم التي اكتسبها عن طريق التعليم الحديث، والأبعد من ذلك أن تأثير الثقافة الجديدة كان أكثر، مما حدث عنه الاغتراب الثقافي والاجتماعي[5].

يُعتبر التراث بكل أنواعه المادي (الآثار) واللامادي السمة التي تطبع كل مجتمع، وتميزه عن غيره من المجتمعات، فهو تعبير حقيقي عن بيئته، وثقافته، وديانته، لهذا عملت الشعوب للحفاظ عليه باتخاذ مختلف الوسائل، فعملت الجزائر كغيرها للحفاظ على هذا الموروث وبالتالي الحفاظ على هويتها الوطنية.

ثانيا: الجهود لحماية الهوية الوطنية:

أثناء الاستعمار الفرنسي عملت الحركة الوطنية في المغرب العربي الإسلامي على النضال من أجل الحفاظ على المقومات الحضارية التي تقوم في الأساس على العقيدة الإسلامية واللغة العربية، هذه الأخيرة التي حاول الاستعمار طمسها والقضاء عليها، فعملت الحركة على إنشاء مجموعة من المدارس الحرة، بالإضافة إلى تنظيم حلقات الوعظ والارشاد في المساجد، وهذا ما عمق الهوية الوطنية (سعيدوني،2013، ص95)

إن الدول الإسلامية اليوم تنمو تحت تأثير نموذج غامض لم تختره بل فرض عليها تلقائيا، فأصبح بذلك أستاذ النهضة الإسلامية هو الغرب، فعندما تريد ان تفصل ثوبها على نموذج الغرب تقلد مقصه بجهالة، ولكن عندما تكون الرغبة في صنع الثوب من مادة التاريخ فيجب أن نعرف قدر أنفسنا، وان نعرف النموذج الذي نختاره (بن نبي،1981، 84).

إن انسلاخ المجتمعات عن ثقافاتها الأصلية هي الرافد الأول المؤدي إلى إخضاعها للاستعمار والهيمنة الأجنبية، وبناءا عليه فان الخطوة الأولى نحو التحرر من التبعية الاستعمارية يكون بعودة المجتمعات الضعيفة إلى ثقافتها التقليدية، وتمسكها به، وهذا ما يسميه شريعي بالعودة إلى الذات، أو بالأحرى «ثقافة الذات»(سعدي،2017 ،69).

كانت مسألة الهوية من القضايا التي شغلت بال علماء الآثار كغيرهم من المفكرين، والباحثين، والمعماريين، للصلة الوثيقة بين الماضي والحاضر والمستقبل في نفس الوقت (بن قربة،2012،24)، فالوقت الحالي يحتم علينا المحافظة على تراثنا الحضاري بنوعيه المادي واللامادي، اللذان يعتبران أساس انتمائنا وخصوصيتنا الثقافية، خاصة أن الكثير منها يتعرض للإهمال والتخريب عن قصد أو غير قصد.

عملت الجزائر من هذا المنطلق على سن قانون رقم 04/98 بتاريخ 15 جويلية 1998 المتعلق بحماية التراث الثقافي، ومجموعة المراسيم المنبثقة عنه[6]، في خطوة لحماية تراثها، خاصة وأن الجزائر غنية بتراثها المادي واللامادي، بالرغم من الاستعمار الفرنسي الذي دام لأكثر من مئة وثلاثين سنة، عمل بشكل مباشر وغير مباشر للقضاء على هوية هذا الشعب من خلال استهداف هذا التراث، وبعد الاستقلال لم يكن من السهل جمعه وحمايته مع التغير الاجتماعي السريع.

بالإضافة إلى استحداث مجموعة من المؤسسات العلمية والثقافية مثل مديرية الثقافة، ومديرية السياحة، وغرفة الحرف والصناعات التقليدية، بالإضافة إلى تشجيع تنظيم التظاهرات والمعارض لتعريف بهذا الموروث، وإيجاد طرق لجمعه وحمايته.

ثالثا: الآثار والهوية الوطنية:

إن التاريخ الذي يمر به أي مجتمع ينتج عنه آثار مرتبطة بمختلف نواحي الحياة السياسية، والاجتماعية، والاقتصادية، والفنية، فتعبر بذلك عن معالم هويته الوطنية، وأصالته الثقافية، وهنا يبرز دور الجامعات الوطنية في إبراز ذلك من خلال تكوين القيادات الفكرية، لأن أثار هذه الأمة بحاجة إلى استمرارية نامية ومتطورة في واقعها، وصياغة تراثها الذي تعتز به ، ويشكل أبعادها التاريخية و المعاصرة معا، فالوحدة تنطلق من الخاصية الجغرافية والتاريخية والاجتماعية لأي حضارة ، أي الحضارة التي تطبع جميع حقائقها الثقافية وخصائصها الأخلاقية والجمالية، والصناعية في المنظور الإنساني، وفي النموذج الاجتماعي الذي يتحرك فيه[7]، فموضوع الهوية والآثار مسألة جد مهمة لذى مختلف شعوب العالم، فمعظم الشعوب العربية الإسلامية غنية بذلك، لهذا عملت للحفاظ عليه بالرغم مما تعرضت له على اعتبارها جزء من حاضره، فالكثير من المجتمعات التقليدية تعتبر الأثار الخزان الحقيقي لأفكارها، وآدابها، وعلومها التي عرفتها في عصورها الذهبية الزائلة، فحاضرها أقل رقي من ماضيها، لهذا هي ملزمة بالعيش فيه[8].

وبناءا على ما تم معرفته عن مختلف الحضارات وجب احترام خصوصية كل ثقافة لأن ذلك حق وواجب، ولأن تجاهل مساهمة الشعوب في غناء التراث الإنساني هو إصرار على محو شخصيتها وتشويه تراثها، ومحاولة بعض الشعوب تبرير استعمارها وسيطرتها لغيرها بحتمية تفوقها الثقافي، والحضاري[9].

ومن المعطيات التي يمكن الاعتماد عليها لإبراز دور الآثار في الحفاظ على الهوية الوطنية مجموعة من الدلائل المادية التي تُعتبر مصدر وثائقي مهم لإعادة صياغة تاريخ الشعوب المعنية، وبالتالي تحديد معالم هويته الوطنية، وأصالته الثقافية، فمن أهم الدلائل المادية(الآثار) التي يمكن الاعتماد عليها على سبيل الذكر لا الحصر:

1 –العمارة:

يتميز كل مجتمع من المجتمعات بنمط معماري خاص سواء من حيث مواد البناء، أو تقنياتها، أو تخطيطها هذه الخبرات التي اكتسبها عبر الزمن وهي نتاج لتاريخه الطويل، ومحاولته المستميتة في التغلب على الظروف الطبيعية المحيطة به، فكانت بيئته ملهمته، ومصدر قوته.

من خلال ما تم العثور عليه من طرف الأثريين من فنون وعمارة لمختلف الشعوب المنتشرة في بقاع العالم، تغيرت العديد من الحقائق التاريخية، إذ أعيد النظر في مبدأ الامتياز الأوروبي الذي احتكر مادة تاريخ الفن حتى مطلع القرن العشرين، وأما أسطورة المعجزة اليونانية فقد تبين للباحثين من خلال ما تم العثور عليه إلى أن جذورها تمتد إلى عدة حضارات قديمة، المصرية، والفينيقية، وبلاد الرافدين، كما أوضحت بحوث عصر النهضة مدى تأثرها بالفنون الإسلامية، فإذا

ألقينا نظرة فاحصة على الفن والعمارة الإسلامية، نذكر أنها تأثرت بغيرها من الحضارات السابقة، ولكنه تم صبها في بوتقة إسلامية ميزتها عن ما سبقها، إذ يكفي أنها عملت على تحقيق مقاصد الشريعة الإسلامية، فتركيب بناء المسجد مثلا يختلف عن الكنيسة، والمعبد الوثني في تخطيطه، وزخرفته، وإضاءته وأسلوبه، فهو ليس تربيعي مثل المعبد الإغريقي، ولا مستطيل كالكنيسة، فالعمارة الإسلامية خاصة الدينية منها تتميز بمجموعة من الخصائص لا توجد في غيرها سواء من حيث تخطيطها أو زخرفتها، فيكفي أن الكثير منها يحمل أسماء ارتبطت بتاريخ الأمة من خلال أسماء أعلامها، أو معاني ارتبطت بالمجتمع ، وتنظيماته توارثتها الأجيال لتحكي حكايات، وأساطير لأناس كانوا وسجلوا صفحة من صفحات التاريخ التي يعتز بها كل فرد(، ونفس الأمر ينطبق على العمارة المدنية من حيث حماية، الدين، والعرض، والنفس(الراحة الجسدية والنفسية)...، من خلال الربط بين الخضرة و الماء، وتوفير الضوء والهواء عبر مختلف أقسام المبنى.

نجح الإسلام في تشكيل تلك العمارة التي تعتبر ثروة ثقافية، وحضارية للإنسانية، وتعتبر شهادة عبر الزمن لأصالة الشخصية الإسلامية رغم تعدد الأجناس، والألوان، واختلاف الثروات، وامتداد الرقعة الجغرافية، فقد عمل الفقهاء نتيجة لذلك على تنظيم وضبط العمارة في مختلف أرجاء العالم الإسلامي من خلال مجموعة من القواعد التي عُرفت بفقه العمارة، هذا الأخير المستنبط من القرآن الكريم والسنة النبوية، ومن أمثلة ذلك كتاب «فقه العمارة» للكومي، وكتاب القسمة وأصول الأرضيين» لأحمد أبو العباس الفرسطائي، وكتاب « ما أخل به كتاب النيل» للشيخ الثميني...وغيرهم.

تنتشر في مختلف أنحاء الجزائر العديد من المعالم الأثرية الدينية والعسكرية، والمدنية التي تعود إلى مختلف الحقبات التاريخية، ففي الشمال تنتشر المدن بقصباتها، والحصون والقلاع، كقصبة الجزائر، ودلس، وقلعة بجاية، وقلعة بني حماد، وبالجنوب مجموعة من التجمعات السكانية التي تُعرف بالقصور، وكل هذه المواقع تضم مختلف المعالم التي هي تعبيرا عما وصلت له العمارة من تطور وازدهار من تخطيط ومواد بناء وتقنيات. (لوحة01)

مع الاستعمار تعرضت العديد من العمائر بمختلف مدن الجزائر إلى التشويه، ففي عاصمة الجزائر مثلا تم طمس الكثير من المعالم الدينية والمدنية بالقصبة بتحويل الجوامع والمساجد إلى كنائس أو ثكنات عسكرية، كجامع كتشاوة، أو تدنيسها باستغلالها بشكل غير لائق، كما استغلت بعض القصور التي تمثل رموز الأمة إلى إدارات فرنسية كقصر الداي حسين، وقصر خداوج العمية، و دار عزيزة... وغيره، وما حدث في العاصمة حدث في مدن أخرى من الجزائر العميقة[10].

نتج عن الاستعمار الفرنسي للجزائر تأثير سلبي على المدينة وتخطيطها بظهور نموذج ثقافي غربي غريب عن المجتمع الجزائري، محاولا بذلك القضاء على هويته وشخصيته العربية الإسلامية بكل رموزها الدينية والتاريخية[11].

فتحولت مدن تاريخية كثيرة إلى مدن هامشية بعد القضاء على أهم معالمها العربية الإسلامية، وعوضت بمدن ومعالم حديثة، فقصبة الجزائر مثلا تعرضت الكثير من معالمها إلى

الطمس والتشويه كما سبق الذكر[12] ، ونفس المصير عرفته عمارة وفنون مختلف الدول المستعمرة، وبذلك فقدت عمارتنا اليوم روحها الحقيقية، وأصبحنا نشعر بالغربة في داخلها، لأنه لا نرتبط بها روحيا، فغابت السقيفة رمز الحرمة، وفتحت النوافذ على الشوارع، وزينت مساكننا بشرفات غير مستغلة، كما تم الاستغناء عن وسط البيت، والسطح، فخرجت النساء تبحث عن متنفس لها بعد أن كان بيتها مملكتها.

2 -الفخـــار:

الفخار مؤشر علمي، ومادي لنشاطات وهجرات، وتبادلات الشعوب، ودليلا على درجة نمو إمكانياتها الصناعية، وحسها الفني بل أنه مادة قيمة للمقارنة والتحليل، فهو دليلا على هوية الشعوب عبر مختلف العصور منذ ما قبل التاريخ، إذ يُقدم الفخار كذليل مادي للحصول على الكثير من المعلومات بما يحويه من معطيات، وقراءات تاريخية وفنية[13].

يعتبر الفخار جزء من التراث المادي بالجزائر لما يمثله من أصالة وقيمة فنية، لهذا تزخر متاحف الجزائر بنماذج فنية لفخار لا يقل اتقانا وجمالا عما عرف في حضارات أخرى، ففي المتحف الوطني للفنون والتقاليد الشعبية بقصبة الجزائر تُعرض نماذج من الفخار بمختلف الأشكال والأبعاد، وما يميزه تلك الخصوصية الفنية التي تميز كل منطقة من مناطق الجزائر الشاسعة (منطقة: القبائل، جيجل، الأوراس، مدية، توات.....وغيره)، تمت صناعتها بمواد طبيعية، وزخرفت بزخارف بسيطة تعبر عن بيئة وثقافة صانعها، عبارة عن أشكال هندسية مثلثات ، خطوط....تتخللها عناصر نباتية مثل الأوراق النخيلية[14]، وقد استمرت هذه الصناعة منذ ما قبل التاريخ إلى يومنا هذا بالرغم من فترة الاستعمار الطويلة محققة بذلك نوع من الاكتفاء الذاتي.

كما تبين هذه المادة مدى قدرت الإنسان على استغلال ما توفره الطبيعة من مواد أولية، أحدثت لديه اكتفاء ذاتيا نفتقده اليوم، ففقدنا بذلك عن الكثير من الخبرات المتعلقة بصناعة وإنتاج هذه المادة، معتمدين على كل ما هو مستورد، في الوقت الذي كان بالإمكان تطويره. (لوحة02)

3 -الخزف:

إن تطور الفخار وتطور تقنياته أظهر ما عرف بالخزف، هذا الأخير الذي امتلأت به المواقع الأثرية والمتاحف العالمية، والذي تكمن أهميته فيما يحويه من كتابات، ورموز، وشعارات وزخارف تعود إلى مختلف الحضارات، لهذا يعكف الأثريون على دراسة وتحليل هذا النوع من الآثار حتى لو كانت مجرد قطع متناثرة هنا وهناك في المواقع الأثرية لأهميتها التاريخية والأثرية[15]. (لوحة03)

ومن بين ما صنع من الفخار بالجزائر قوالب الآجر التي استغلت في زخرفة العمائر خاصة الدينية منها، فبقلعة بني حماد زينت مئذنة الجامع بغلالة من الآجر المتراكبة في أشكال منتظمة مطلية بالمينا الأخضر اللون، وهذا دليل على قدرة الفنان الحمادي على التنويع واستغلال الألوان في إضفاء جمالا وحس فني عالي، فمن مئذنة جامع القلعة اشتقّ الموّحدون مآذنهم

المختلفة، وتأثروا بزخرفتها، إذ أن تميزت هذه المئذنة بأصالة زخرفتها التي ظهرت في وقت مبكر بالمغرب الإسلامي فكانت مصدرا لزخرفة قصور وكنائس مدينة برم بصقليا، والحماديون أول من استخدم البلاطات الخزفية في زخرفة مئذنة الجامع[16].

4 -المسكوكات:

هي عبارة عن وثائق تاريخية هامة لا يمكن تزويرها أو الشك فيما تحويه من معلومات حيث تعكس الأحداث والحقائق التاريخية عبر الزمن سياسيا, أو اقتصاديا، أو اجتماعيا لأمة من الأمم، أو لبلد من البلدان خلال مرحلة من المراحل التي تمر بها[17]، فهذه النقود وثائق مهمة للدراسات الإنسانية، فيما تحمله من نصوص تبين الديانة، و المذهب، لهذا اختلفت هذه الشعارات من دولة إلى أخرى، ففي المغرب العربي الإسلامي أقدم نقود دلت على استقلاليته قديمة قدم الحضارة به، إذ أن ماسينيسا عندما أعلن عن تحرره من السلطة الرومانية ومقاومته لهم عمل على سك عملة تميزت عن غيرها من خلال رموزها و صورها، التي تتمثل في معبودات محلية على الظهر، و صورة الحصان على الوجه رمز بلاد المغرب[18]، وإذا كان المرابطون اتخذوا شعار « ومن يبتغي غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين « فإن السكة الموحدية كتب على وجهها « لا اله إلا الله الأمر كله لله لا قوة إلا بالله»[19]، و نفس الأمر ينطبق على الدول الأخرى التي ظهرت بالمغرب الإسلامي، فالسكة رمز سيادة الدولة، وشارة من شارات الملك، لهذا فان الأمير عبد القادر حتى يعلن رفضه للاستعمار الفرنسي، واستقلالية الجزائر قام بسك نقود خاصة بدولته كتب عليها شعاره الذي يبين انتمائه، فكتب على الوجه «إن الدين عند الله الإسلام«[20]. (لوحة04)

ولأهمية العملة في التعبير عن هوية أي امة وسيادتها تعمل كل دولة، على سك نقود تحمل شعارها ورموزها إلى يومنا هذا، والمسكوكات من الآثار المستهدفة أثناء أي صراع سياسي، والأمثلة على ذلك كثيرة منها على سبيل الذكر لا الحصر ما تعرض له المتحف الإسلامي بمصر، ومتحف الفنون القديمة بالجزائر.

5 – المخطوطات:

ارتبطت المخطوطات بشكل كبير بالحضارة الإسلامية لكثرت ما خلفته هذه الحضارة من مخطوطات في مختلف العلوم، والمتاحف اليوم مليئة بهذا النوع من الدلائل التي تحوي معلومات لا ياستهان بها يمكن استغلالها للحصول على المعلومات هامة عن الحياة الاجتماعية، والثقافية والسياسية والاقتصادية، وبالتالي بالشخصية المغربية[21]، لهذا عمل المستعمر على جمع هذا التراث ومحاولة استغلاله لدراسة تاريخ وحضارة هذه الشعوب، وفي نفس الاستفادة منه قدر الإمكان.

تُعتبر المخطوطات من أهم الآثار المدونة التي تعود إلى العصر الوسيط، وهي لا تقل أهمية عن الدلائل المادية الأخرى ذات الصلة بالهوية الوطنية، فكان الخط العربي البصمة التي تميز الكتابات العربية[22]، وبالجنوب الجزائري وخاصة بسهل وادي ميزاب، وإقليم توات تنتشر العديد من خزائن المخطوطات التي تنوعت في مواضيعها وموادها، ولأهميتها في الحفاظ على

الهويــة الوطنيــة أنشــأت الدولــة الجزائريــة المركــز الوطنــي للمخطــوط بــأدرار للحفــظ والدراســة الأكاديميــة. (لوحــة05)

6 – الفسيفساء:

تعتـبر فسيفسـاء مختلـف الحضـارات ذليـل مـادي و وثيقـة مهمـة للقـراءة التاريخيـة و ذلـك لمـا تحويـه مـن مواضيـع مختلفـة (معـارك، رحـلات صيـد، مجالـس لهـو، طقـوس دينيـة ...)، فـكان كل اكتشـاف أثـري للوحـة فسيفسـائية اكتشـاف لصفحـة جديـدة مـن صفحـات التاريـخ، ففـي الجزائـر مثـلا يظهـر تاريخهـا الطويـل وعراقـة حضارتهـا مـن خـلال اللوحـات الفسيفسـائية التـي وجـدت في كل مـن تيبـازة، وجميلـة، وتيمقـاد، وشرشـال،....وغيره، ومـن هـذه الفسيفسـاء تـم اسـتنباط مختلـف الزخـارف التـي توارثهـا الفنـان الجزائـري عـبر الزمـن، ففـي تلمسـان الزيانيـة كانـت جـل المواضيـع الزخرفيـة مسـتمدة مـن العـمارة القديمـة، فطغـت عليهـا الزخرفـة الهندسـية، في حـين اسـتخدم الفنـان في مدينـة الجزائـر و قسـنطينة «شـجرة الـسرو» المعروفـة بشـجرة الحيـاة، بالإضافـة إلى النجـوم ذات السـتة و الثمانيـة رؤوس، والمزهريـات، والإزهـار، فحـدث تمـازج بـين الزخـارف المحليـة والزخـارف الآتيـة مـن الـشرق و الأندلـس مـما نتـج عنـه فـن جزائـري قائـم بذاتـه لـه خصائصـه الفنيـة الـذي اكتملـت بالتأثـر بالطـراز الـتركي في العهـد العثـماني، و نفـس الزخـارف وجـدت عـلى النحاسـيات[23]، فمـن خـلال قـراءة بسـيطة لزخـارف و ألـوان أي لوحـة فسيفسـائية يمكـن معرفـة مـا وصـل إليـه هـذا الفـن مـن رقـي حضـاري، في وقـت شـككت فيـه في قـدرات مجتمعاتنـا عـلى العطـاء و الإبـداع[24]. (لوحـة6)

لقـد حاولنـا في هـذه الورقـة البحثيـة تقديـم نمـاذج من الأثـار التـي تزخر بهـا المتاحـف الجزائرية، ومـع ذلـك فـان الآثـار التـي نستشـف منهـا هويتنـا الوطنيـة كثـيرة ومتنوعـة، كالحـلي، والنحاسـيات، ، والنسـيج بأنواعـه، وغـيره مـن الصناعـات..... (ينظـر لوحـة 7)

الخاتمة:

وفي الختـام يمكـن القـول بـأن تنـاول أهميـة الآثـار ودورهـا في الحفـاظ عـلى الهويـة الوطنيـة مـن المواضيـع المهمـة، و المتشـعبة التـي تتصـل بشـكل مبـاشر بشـخصية أي أمـة و بتاريخهـا الطويـل، لهـذا فهـي تعتـز بمـا تملكـه مـن تـراث مـادي ولامـادي، لأنـه يميزهـا عـن غيرهـا مـن المجتمعـات، والجزائـر كغيرهـا حاولـت بعـد الاسـتقلال إعـادة الاعتبـار لأثارهـا بمختلـف الطـرق، ولكـن الواقـع الحضـاري الـذي تعيشـه جـل الـدول العربيـة الإسـلامية واقـع تغلـب عليـه التأثـيرات الغربيـة إلى حـد الطغيـان عـلى خصوصيتـه ، فأصبـح مـن الـضروري في طـل الغـزو الثقـافي الحفـاظ عـلى هـذه الأثـار، والتعريـف بهـا للأجيـال، مـع العلـم أن آثـار أي أمـة مسـتهدفة في وقـت أصبحـت الكثـير مـن الـدول القويـة تبحـث لنفسـها عـن تـراث فالهنـود الحمـر سـكان أمريـكا الأصليـين الذيـن أُبيـدوا و هُجـروا في مرحلـة مـا مـن طـرف الرجـل الأبيـض ، أصبحـت أمريـكا اليـوم تبنـي لآثارهـم متاحـف للتعريـف بهـا، لهـذا فـإن جـل الـدول التـي تعـاني الحـروب و الصراعـات الداخليـة تتعـرض أثارهـا للتدمـير و التهريـب خاصـة المنقولـة منهـا، وذلـك بغـرض القضـاء عـلى هويتهـا الوطنيـة.

لوحة٠١ : نموذج للعمارة المدنية بالجزائر

لوحة ٠٢: نماذج من الفخار البسيط والمزخرف

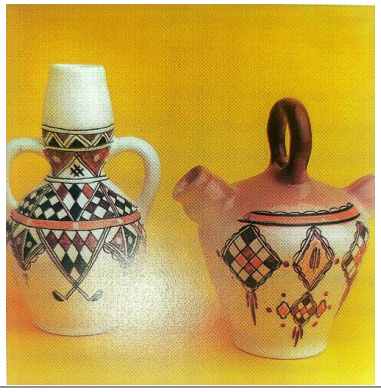

لوحة ٠٣: نموذج من الخزف المزخرف بالجزائر

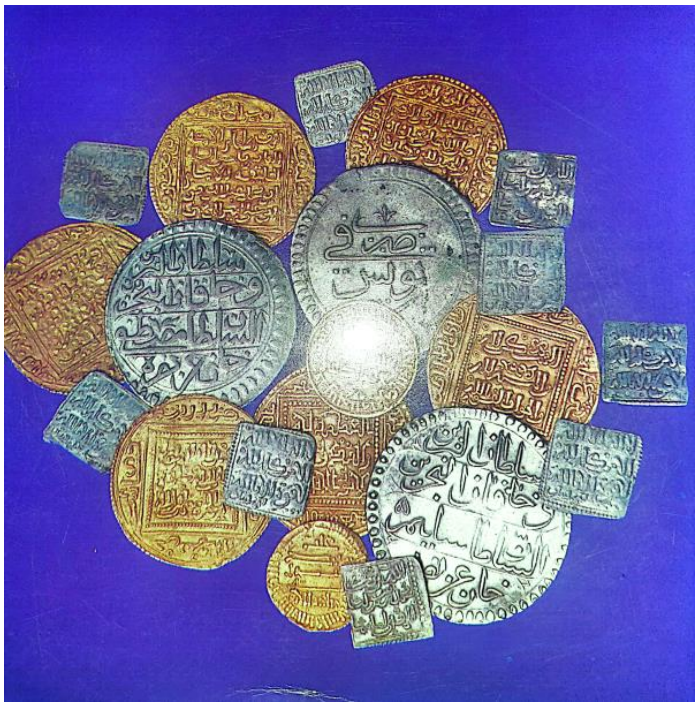

لوحة ٠٤: مجموعة من المسكوكات بمتاحف الجزائر

لوحة ٠٥ نموذج للبلاطات الخزفية بالجزائر

لوحة ٠٦ نموذج للفسبفساء -مدينة شرشال بالجزائر-

لوحة ٠٧ صورة لمخطوط بالمركز الوطنى للمخطوطات بأدرار

الهوامش:

(1) قرقرة (إدريس)، التراث في المسرح الجزائري دراسة في الأشكال والمضامين، طبعة 1، مكتبة الرشاد للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2009، الجزء الأول، ص ص33-32.

(2) بن نبي (مالك)، الفكرة الإفريقية الأسيوية في ضوء مؤتمر باندونج، دار الفكر، دمشق، 1981، ص83.

(3) قرقرة (إدريس)، المرجع السابق، ص 34.

(4) بن نبي (مالك)، المرجع السابق، ص77.

(5) زرارقة (فيروز)، التراث وإشكالية الهوية الثقافية، صراع من أجل البقاء في زمن العولمة، أعمال مؤتمر الأصالة للدراسات الإسلامية، التراث الإسلامي وسؤلات التجديد، يومي 18-17 مارس 2019، المكتبة الوطنية، الجزائر، ص33.

(6) للمزيد من المعلومات ينظر القانون رقم 04/1998 الجريدة الرسمية الجزائرية، المؤرخ في 15 جويلية 1998، العدد 44.

(7) بن نبي (مالك)، المرجع السابق، ص 77.

(8) زرارقة (فيروز)، المرجع السابق، ص 27.

(9) بن قربة(صالح)، علم الآثار والهوية الوطنية، دار الهدى للطباعة والنشر، الجزائر، 2012، ص 25.

(10) عقاب (محمد الطيب)، قصور مدينة الجزائر في أواخر العهد العثماني، دار الحكمة، الجزائر، 1999، ص5. ينظر أيضا Marcais (G), l'Architecture musulman d'occident, Espagne, 1954,pp67-154.

(11) بن قربة(صالح)، المرجع السابق، ص 40.

(12) نفس المرجع، ص40.

(13) Musée National des Arts et Traditions Populaires ; l'Art Populaire, S.N/E/D, Alger, 2003, pp46-51.

(14) Ibid, p46

(15) Hamlaoui(A), les demeures médiévales, l'Algérie en héritage, Art et Histoire, Institut du Monde Arabe, Actes Sud, 2003, pp 307-312.

(16) عزوق عبد الكريم، تأثير مئذنة قلعة بني حماد على بعض المآذن في المغرب والأندلس، مجلة الدراسات الأثرية، العدد03، معهد الآثار، جامعة الجزائر، 1995، ص ص 40-39.

(17) درياس لخضر، جامع المسكوكات العربية الإسلامية بالمتاحف الجزائرية، الجزء الأول، مطبعة سومر، الجزائر، 1999، ص 6.

(18) المتحف الوطني للآثار القديمة، تاريخ الجزائر من خلال المسكوكات، معرض في إطار الجزائر عاصمة الثقافة العربية، 2017، ص 5.

(19) درياس لخضر، المرجع السابق، ص 11.

(20) المرجع تفسه، ص 13. ينظر أيضا Drias(L) , le Monnayage, l'Algérie en héritage, Art et Histoire, Institut du Monde Arabe, Actes Sud, 2003, pp285-289.

(21) بن قربة(صالح)، المرجع السابق، ص 79.

(22) نفس المرجع، ص 80. ينظر أيضا Guesdon(M.G) , l'Art du livre arabe manuscrit en Algérie, l'Algérie en héritage, Art et Histoire, Institut du Monde Arabe, Actes Sud, 2003, pp 293-295.

(23) حداد زهرة (د.ت)، مجموعة نحاسيات المتحف، المتحف الوطني للفنون والتقاليد الشعبية، دون تاريخ، ص ص 9-4.

(24) Drici(S), Djemila, l'Antique Cuicul, Institut du Monde Arabe, l'Algérie en héritage, Art et Histoire, Actes Sud, 2003, PP150-161.

المراجع المعتمدة:

(1) أوزناجي (محمد)، جامع المسكوكات العربية الإسلامية بالمتاحف الجزائرية، مطبعة سومر، الجزائر، 2000، الجزء الثاني.

(2) بن قربة(صالح)، علم الآثار والهوية الوطنية، دار الهدى للطباعة والنشر، الجزائر، 2012.

(3) بن نبي (مالك)، الفكرة الإفريقية الأسيوية في ضوء مؤتمر باندونج، دار الفكر، دمشق، 1981.

(4) حداد زهرة، مجموعة نحاسيات المتحف، المتحف الوطني للفنون والتقاليد الشعبية، دون تاريخ.

(5) درياس لخضر، جامع المسكوكات العربية الإسلامية بالمتاحف الجزائرية، الجزء الأول، مطبعة سومر، الجزائر، 1999.

(6) سعدي (علي)، الدين أساسا للهوية الاجتماعية في الأدبيات الما بعد كولونيالية "على شريعي نموذجا"، مجلة إسهامات، المجل د02، العدد02، كلية العلوم الاجتماعية و الإنسانية، جامعة غرداية، الجزائر، 2017.

(7) سعيدوني (نصر الدين)، (2013)، في الهوية والانتماء الحضاري، البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر.

(8) عقاب (محمد الطيب)، قصور مدينة الجزائر في أواخر العهد العثماني، دار الحكمة، الجزائر، 1999.

(9) عزوق عبد الكريم، تأثير مئذنة قلعة بني حماد على بعض المآذن في المغرب والأندلس، مجلة الدراسات الأثرية، العدد03، معهد الآثار، جامعة الجزائر، 1995.

(10) - قرقرة (إدريس)، التراث في المسرح الجزائري دراسة في الأشكال والمضامين، ج1، مكتبة الرشاد للطباعة والنشر والتوزيع، ط 1، الجزائر، 2009.

(11) المتحف الوطني للآثار القديمة، تاريخ الجزائر من خلال المسكوكات، معرض في إطار الجزائر عاصمة الثقافة العربية، 2017.

(12) زرارقة (فيروز)، التراث وإشكالية الهوية الثقافية، صراع من أجل البقاء في زمن العولمة، أعمال مؤتمر الأصالة للدراسات الإسلامية، التراث الإسلامي وسؤلات التجديد، يومي 18-17 مارس 2019، المكتبة الوطنية، الجزائر.

(13) Bourouiba(R),Apports de l'Algérie l'architecture Religieux Arabo_ Islamique, O.P.U, Alger , 1986.

(14) Drias(L) , le Monnayage, l'Algérie en héritage, Art et Histoire, Institut du Monde Arabe, Actes Sud, 2003.

(15) Guesdon(M.G) , l'Art du livre arabe manuscrit en Algérie, l'Algérie en héritage, Art et Histoire, Institut du Monde Arabe, Actes Sud, 2003

(16) Hamlaoui(A), les demeures médiévales, l'Algérie en héritage, Art et Histoire, Institut du Monde Arabe, Actes Sud, 2003

(17) Marcais (G), l'Architecture musulman d'occident, Espagne, 1954.

(18) - Drici(S), Djemila, l'Antique Cuicul, Institut du Monde Arabe, l'Algérie en héritage, Art et Histoire, Actes Sud, 2003.

(19) Kaddache (M), l'Algérie dans l'antique, S.N/E/D, Alger ,1982.

(20) Musée National des Arts et Traditions Populaires ; l'Art Populaire, S.N/E/D, Alger, 2003

(21) Ministere de la petite et Moyenne Entreprise et de l'Artisanat, (2009) Atlas de l'Artisanat Traditionnel d'Algérie, A3SCOM-Edition, Alger.